

شرف الكتابة

وشرف الموت

الرجال والبنادق» . كما يضم مجموعة جديدة تديبة ، هي عبارة عن جمع لبعض القصص القصيرة التي نشرها كنفاني ، في فترات متفاوتة في الصحف والمجلات العربية ، ولم تضمها مجموعات القصصية . في هذه المجموعة « وتمصص اخرى » تعود الى الجو المتوتر الذي تخلقه كتابة كنفاني . فرائحة الدم الحار الذي يخرج من جنات وشرابين سعيد الحمضوني في قصة « المدفع » ، تعيدنا الى فلسطين الحلم الذي لا يموت ، هذا الحلم لا ترويه الدماء وحدها ، بل يرويه عطش الشرايين الى الالتصام بفوهسة المدفع . عطش الانسان الى الارض ، ليس عطشا رومانسيا . فالتحدي المأساوي ، يحيل الفلاح ، الى تاريخ كامل ، والقصة لا تصبح مجرد عملية جمع لمجموعة من الابطال المرتبطين بموضوع محدد . بل تتحول الى رؤيا تاريخية كاملة . يمتزج فيها التوتر بالحنين ، أمام فوهة المدفع ، او أمام شرايين الاشجار . وهو في قصة « البطل في الزنزانة » لا ينقل لنا هم رياض وحده ، بل ينقل هم العلاقة بين القصة والواقع . فالواقع اكثر غنى وتعقيدا من الخيال . وعذاب الخلق المتكامل بضرورة العمل التاريخي لا يخرج الا من ذروة النضال .

وكما اكتشف يوسف ادريس في مقدمته « ان الموضوع الواحد ، يمكن ، في يد الكاتب الصادق الملهم (تية) يستخرج منها مائة سيمفونية ومائة كتاب بحيث ايضا ، كل سطر من هذا الكتاب ، كل حرف ، من الممكن ردها مباشرة الى هذا الموضوع الواحد » فان ضياء العزاوي اكتشف هو الآخر ، كيف يستطيع الموضوع الواحد ، ان يستحيل الى خطوط ، أشكال تتغلغل في الرؤيا الفنية ، وتشارك كنفاني رحلته الى جسد فلسطين .

« احسست لأول مرة في حياتي بفخر اني كاتب من كتاب القصة العربية القصيرة ، حين استشهد غسان كنفاني . فبحياته التي انتهت هكذا ، انتقل من حيث الكتاب ، الى حيث الابطال وكان اول كاتب قصة يفعل هذا ، بل ، بالادق اول كاتب في كل تاريخ ادبنا العربي يعيش قضيته التي حد الشهادة احسست بفخر اني انتمي لغسان وانه من نفس جيلي . وان تاريخ الكتابة العربية ، الكتابة ، وليس صفة الكتابة ، سيبدأ من هنا . . . المرة الثانية التي احسست فيها بالفخر اني كاتب ، حين تفضل الاصدقاء وعدوهو الي بكتابة هذا التقديم لقصص غسان كنفاني القصيرة الكاملة . . . انه شيء لا أحس له بفرحة ، انه شيء يجعلني احس بتشريف اعتقد اني غير جدير به . من أنا حتى اقدم كتابا ، رفع من الادب العربي كل عاره وغسل بدمه تقاعس مئات المسنين ؟ من أنا ، وماذا فعلت للقضية كي اقدم كتابا فعل من أجلها ما أصبح في عداد الاساطير ؟

. . . وهناك النهاية ، تلك التي لم يكتبها غسان في قصصه القصيرة او الطويلة ، فنهايات مثل تلك لا تكتب . لقد ظل يكتب حتى بلغ الحد الاعلى للكتابة ، حتى لم يعد هناك ما يكتب . وهكذا كان لا بد للنهاية ان تكون عملا فوق الكتابة . وفوق آحاد النصوص وفوق الخيال . كان لا بد أن تكون (العمل ، الشعر) او الاستشهاد ارتقى واعظم وانبل مراحل اي عمل فني او انساني عُلسى الاطلاق » .

بهذه الكلمات قدم يوسف ادريس للمجلد الثاني من الاثار الكاملة لغسان كنفاني . يضم هذا المجلد جميع مجموعات القصص القصيرة التي كتبها كنفاني . « موت سرير رقم ١٢ » ، « أرض البرتناقل الحزين » ، « عالم ليس لنا » ، « عن